الاعجاز القرآني بين المتقدمين والمتأخرين

دراسة تحليلية

طالبة الدكتوراه نـجلاء صلاح جاسم الجبوري
قسم علوم القرآن والحديث ـ جامعة مازندران ـ بابلسر ـ إيران
Najlaa.n2gcn2gc@gmail.com
الدكتور سيد محسن موسوي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك ـ قسم علوم القرآن والحديث ـ جامعة مازندران ـ بابلسر ـ إيران
m. musavi @umz.ac.ir

The Qur'anic miracles between the advanced and the late

An analytical study

Study Ph.D. Student Najlaa al-Jaboory
Department of Quran and Hadith Studies - The University of Mazandaran - Babolsar –Iran
Dr. Seyyed Mohsen Mousavi (responsible writer)
Assistant Professor, Department of Quran and Hadith Studies - The University of Mazandaran - Babolsar –Iran

الملخص:-

"لقد بين البحث تعريفاً عاما للمعجزة و قد ابان شروطها و ما هو القدر المعجر من القرآن و قد ابان البحث سر التدرج في هذا التحدي".

ثم تناول البحث "الحديث عن آراء العلماء القدامى والمتقدمين حول فكرة الإعجاز في القرآن بالشرح والتحليل عند القدامى" أمثال: "الخطابي والرماني، والجرجاني، والباقلاني، ومن المعاصرين: الشيخ رشيد رضا، وسيد قطب".

ثم توسعنا في "الحديث عن الإعجاز نص الخطاب القرآني من خلال الشرح والتحليل والتأويل لبعض الآيات القرآنية التي تناولت أنواعاً من الاساليب الخطابية"، وقد أبرز فيها "البحث مسألة الفصاحة والبلاغة والبيان التي تفرد بها كلام الله عز وجل"، ثم أوضح "الفوائد البيانية المستنبطة من النصوص القرآنية، مما جعلنا نقف على سر الجمال والبيان فيها، فنؤمن بأنه القرآن الكريم المعجز بألفاظه للخلق أجمعين"

الكلمات المفتاحية: الاعجاز، القران، المتقدمين، المتأخرين، دراسة تحليلية.

Abstract:-

The research showed a general definition of the miracle, and it clarified its conditions and what is the miraculous destiny of the Qur'an, and the research revealed the secret of gradualism in this challenge.

Then the modern research dealt with the views of the ancient and advanced scholars on the idea of the miracle in the Qur'an with explanation and analysis by the ancients such as: Al-Khattabi, Al-Ramani, Al-Jurjani, and Al-Baqlani, and among the contemporaries: Sheikh Rashid Rida and Sayyid Qutb

. Then we expanded on talking about the miraculousness of the text of the Qur'anic discourse through the explanation, analysis and interpretation of some Qur'anic verses that dealt with different types of rhetorical methods. He made us stand on the secret of beauty and the explanation in it, so we believe that the Holy Qur'an is miraculous in its words for all creation

Keywords: the Qur'anic miracles, the advanced, the late, an analytical study.

المقدمة:ـ

في هذه المدة الحرجة التي تمر بها البشرية ، والتي يصل فيها الفزع إلى غايته والقلق إلى أقصاه، يتبدّى واضحا إلى أيٍّ مدى تخبطت البشرية حين شردت عن دين الله وعن منهجه للحياة".

لقد تخبطت البشرية "ما بين عبادة العقل و عبادة المادة و عبادة الحتمية التأريخية والحتمية الإقتصادية والحتمية الإجتماعية"... إلى آخر "هذه الآلهة المزعومة التي يعبدها الناس في هذا الجيل ليهربوا بها من عبادة الله سبحانه و تعالى" ، فكانت الشقوة "التي تفسد الأعصاب والنفوس وكان العذاب الذي يمس الأفراد والجماعات وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب".

وليس للبشرية "علاج من هذه القوة المفسدة و العذاب المفزع إلاّ أن تعود إلى الله وكتابه المجيد لتجد الأمن والرعاية في حماه".

وبعد "فقد يكون موضوع البحث حديث عهد وولادة ويبدو ذلك واضحاً من خلال قلة انتشاره بين الجامعات وهذا ما وجدته من خلال البحث والمتابعة مع بعض الجامعات الأخرى". اذ ان القاضي ابا بكر الباقلاني "احد ائمة العلم الذين انجبتهم امتنا الإسلامية فترك لنا ثروة عظيمة من العلوم وذاع صيته وانتشر بين العلماء" فقررت مستعينا بالله متوكلاً عليه ان اكتب هذا البحث بعنوان "الاعجاز الغيبي للقران الكريم".

وقد تم تقسيم البحث إلى المقدمة فالمبحث الأول مفهوم الاعجاز وشروطه وفيه المطلب الاول: تعريف الاعجاز والمطلب الثاني: شروط الاعجاز اما المبحث الثاني انواع الاعجاز والمبحث الثالث الاعجاز عند المتقدمين والمتأخرين جاء المطلب الاول عن الاعجاز عند المتقدمين اما المطلب الثاني فجاء عن الاعجاز عند المتأخرين ثم الخاتمة فالمصادر.

المبحث الأول

مفهوم الاعجاز وشروطه

المطلب الأول

تعريف الاعجاز

أولاً: الاعجاز لغة

الاعجاز في اللغة "يعني إعجاز الخصم عند التحدي، وهي مشتقة "من الفعل الثلاثي

عجز ومصدره العجز، وهو ضد القدرة وأصبح اسماً للقصور عن فعل الشيء، فيقال عجز فلان عن الأمر، إذا حاوله ولم يستطع المحاولة الإعجاز لغة: مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز"[١].

قال ابن منظور:" العجز: نقيض الحزم، والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث- كل شيء بقدر حتى العجز والكيس- وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف "[٢].

ومقتضى آخر الكلام "فيما ساقه صاحب اللسان أن العجز أعم من أن يكون ضعفا وانعدام قدرة،وإنما يمكن أن يعني ترك الأمر تسويفا، مما يفهم منه أن ما ترك في حيز القدرة عليه، لكن الباعث على تركه هو الكسل الحامل على التأجيل والتسويف".

ثانيا:تعريف الاعجاز اصطلاحاً

عرفه العلماء بعدة تعريفات منها: ان الاعجاز " امرُ خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة " [٣]

قال ابن حجر [٤]:" إن الهم:لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط "

والإعجاز في الاصطلاح: له عدة تعريفات، منها تعريف الإمام الجرجاني في كتابه القيم "التعريفات": "أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[٥].

وقال صاحب البيان: المعجزة " هي الامر الخارق للعادة، سالم عن المعارضة يجريه الله على يدي النبي تصديقاً له في دعوة النبوة"[٦].

المطلب الثاني

شروط الاعجاز بين المتقدمين والمتأخرين

المعجزة: "وهي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة" [٧] "ولابد من وجود شروط في تحقيقها"[٨].

١- "التحدي: وهو طلب المنازلة والمعارضة".

٢- "وجود المقتضى الذي يدفع المتحدي إلى المنازلة".

٣- "عدم وجود مانع من المباراة".

وقد تحققت هذه الشروط في القرآن الكريم." فالقرآن الكريم تحدى العرب واثبت عجزهم عن ان يأتوا بمثله وهم ارباب الفصاحة والبيان شعرا ونثرا". قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (٩).

سواء كان التحدي بالكم او بالنوع. "والمقتضى الذي يدفع المتحدي إلى المنازلة موجود". فالرسول i قال: "اني رسول الله وجاءهم بكتاب الله يسفه عاداتهم ويسخر من عقولهم فحرصوا على رده بأن يأتوا بمثله او ببعضه ليدحضوا حجته فلا يقال انه من الله، والمانع الذي يمنع العرب من المعارضة غير موجود وذلك متضح في جوانب عدة" (١٠)

١- "جانب اللغة: فالعرب كانوا قادة الفصاحة والبيان".

٢- "جانب المعنى: فقد كانوا على بصر ، وخبرة ، وتجارب ، وذكاء كما تشير إلى ذلك خطبهم واشعارهم ومناظراتهم وآثارهم".

٣- جانب الزمن: "فالقرآن لم ينزل جملة واحدة بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة ليتسع مجال المعارضة" (١١) هذا "ولم تذكر لفظة اعجاز أو معجزة في القرآن الكريم وانما ذكرت كلمات متقاربة منها. كما لم تذكر في الحديث النبوي الشريف"(١٢).

وقد توسع العلماء في الكلام عنه والبحث في وجوهه. "فتعددت آراؤهم في ذلك فذهب بعضهم إلى ان الاعجاز منحصر في نظم القرآن وبلاغة تعبيره. وذهب بعضهم الآخر إلى ان الاعجاز مركوز في معانيه وما تضمنه من تشريع وحكمة لاسرار الخلق واخبار ما مضى وما هو آت. وجمع آخرون بين المذهبين فقالوا: أن الاعجاز كائن في نظم القرآن وفي معانيه معا"(١٣).

لقد ذهبت" طائفة قليلة إلى تعليل الاعجاز بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم القدرة أو سلبهم الداعي، لتقوم الحجة عليهم بمرأى ومسمع من جميع العرب. وقد أطال العلماء في الرد على هذا القول والمذهب" (١٤). ومن العلماء "من ذهب على ان وجه الاعجاز. هو ما انطوى عليه من الاخبار عن المغيبات مما دل على انه منزل من علام الغيوب"(١٥).

ومنهم من جعل من اوجهه: "انه كان معلوما من حال النبي i انه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم ، وأنبائهم ، وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير. من حين خلق آدم عليه السلام إلى مبعثه i "[١٦].

ومن العلماء "من أشار إلى جهة اخرى وهي ما أودع فيه من المعاني الحكيمة والاشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ اليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متقاربة"[١٧].

وقد ذكر العلماء وجوها أخرى للأعجاز، "لكن جلّ أهتمامهم أنصب على الجانب البلاغي. فالرماني مثلا ذكر أن القرآن معجز من سبع جهات ثم أخذ في بيان الوجه الرابع، وهو الوجه البلاغي، وشغل به أكثر رسالته النكت في أعجاز القرآن . ثم عاد إلى الوجوه الاخرى فأوجز بيانها، وهذا واضح في ان الوجه البلاغي كان موضع اهتمامه لانه ابرز هذه الوجوه ويرجع اليه اكثرها"[١٨].

المبحث الثاني

انواع الاعجاز بين المتقدمين والمتأخرين

لما كان القرآن الكريم "هو معجزة النبي i الخالدة التي ارسل بها إلى العرب خاصة والى الناس عامة كان لابد من ان يخاطبهم بما كانوا متقدمين فيه، فقد كانوا متقدمين في الفصاحة والبيان، ففي السور القلائل التي لا تشريع فيها، ولا غيب، ولا علوم، ولا تجمع بطبيعة الحال كل المزايا المتفرقة في القرآن في هذه السور قد سحر العرب منذ اللحظة الاولى وفي وقت لم يكن التشريع المحكم ولا الاغراض الكبرى هي التي تستدعي احساسهم وتستحق منهم الاعجاب"[١٩].

وقد كانت "معجزات الانبياء السابقين كلها مادية محسوسة يشاهدها قومهم بعيونهم ويتفاعلون معها بحواسهم. وهذا واضح في ناقة صالح، ونار ابراهيم، وعصا موسى، ومائدة عيسى، اما معجزة سيدنا محمد i فلم تكن مادية محسوسة بل كانت معنوية بيانية تدرك بالذوق لا بالحواس"[٢٠].

وقد صرح "الرسول i ببعض الحكم من ذلك". فقد روى ان رسول الله i قال: "ما من الانبياء من نبي الا قد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله اليّ فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة".[٢١] وفي الحديث اقوال:

"احدهما: ان كل نبي اعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الانبياء، واما معجزتي فهي القرآن الذي لم يعط احد مثله فلهذا انا اكثرهم تابعا".

"الثاني: ان الذي اوتيته لا يتطرق اليه تخييل سحر او شبهة بخلاف معجزة غيري ".

"الثالث: ان معجزات الانبياء انقرضت بأنقراض اعصارهم ولم يشاهدها الا من حضرها، ومعجزة نبينا i القرآن المستمر إلى يوم القيامة". ومن هنا كان للاعجاز القراني انواع اهمها:

أ- "الاعجاز البياني او الاعجاز اللغوي: فالله تعالى لما طالب العرب ان يأتوا بمثل القرآن اراد بمثله في البيان والبلاغة والفصاحة" ولهذا قال لهم: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[٢٢].

"وكلمة (مفتريات) ذات دلالة مهمة في التحدي والاعجاز. فهي تشير إلى ان المطلوب منهم عشر سور مثل سور القرآن في بيانها وفصاحتها. وليس مثل سور القرآن في علومها وموضوعاتها واخبارها، فلو كان مناط التحدي هو الصدق التاريخي في القصص والاخبار لما قال مفتريات"[٢٣].

يقول سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن): " يجب ان نبحث عن منبع السحر في القرآن قبل التشريع المحكم وقبل النبوءة الغيبية، وقبل العلوم الكونية، وقبل ان يصبح القرآن وحده مكتملة تشمل هذا كله، فقليل القرآن الذي كان ايام الدعوة الاولى، كان مجردا من هذه الاشياء التي جاءت فيما بعد وكان مع ذلك محتوما على هذا النبع الاصيل الذي تذوقه العرب"[٢٤].

ب- "الاعجاز العلمي: وهو اكثر انواع الاعجاز المضموني شهرة، وهو الاعجاز الغيبي والوانه في القرآن ثلاثة"[٢٥]:

"اللون الاول: غيب الماضي، وبعضهم يسمي هذا اللون من الوان الاعجاز الغيبي

(الاعجاز التاريخي) ويقصد به انباء القرآن عن اخبار الماضي".

"**اللون الثاني:** غيب الحاضر، ويقصد به انباء القرآن عن الموجودات الحاضرة التي لا يراها الانسان مثل الملائكة ، والجن ، والشياطين".

"**اللون الثالث:** غيب المستقبل، ويقصد به الآيات القرآنية التي تخبر عن اشياء واحداث ستحدث في المستقبل".

"**ج- الاعجاز التشريعي:** والمقصود به تشريعات القرآن ونظمه ومناهجه والمباديء التي قررها والقيم التي دعا اليها والهداية التي دعا اليها. وفي كل حقل من هذه الحقول يجد الدارس الواعي لهذا القرآن، وفرة من النصوص والتوجيهات يحار في كثرتها ووفرتها فوق ما في هذه الوفرة من اصالة وصدق وعمق واحاطة ونفاسة"(٢٦).

"**د- الاعجاز النفسي:** وهو حديث القرآن عن النفس الانسانية وللاعجاز النفسي جانبان"(٢٧).

"**الأول:** حديث القرآن عن النفس الانسانية وبيانه لصفاتها ".

"**الثاني:** تأثير القرآن في النفس الانسانية، سواء كانت مؤمنة او كافرة".

"وقد عدّ بعض العلماء النوع الثاني اعجازا بذاته واول من عده وجها خاصا من وجوه الاعجاز هو الامام ابو سليمان الخطابي المتوفى سنة(٣٨٨هـ) فقد نص عليه في رسالته بيان اعجاز القرآن فقال: قلت في اعجاز القرآن وجها آخر، ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من احادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره بالنفوس"(٢٨).

"والاعجاز العلمي هو اكثر هذه الانواع وفرة واوفرها شهرة، ولما كان هذا العصر عصر تقدم علمي إذ تقدم الانسان في العلوم والمعارف المادية البحتة والمخترعات الحديثة وبلغت البشرية في هذا المجال درجات بعيدة، وفتح كثير من المثقفين المسلمين عيونهم على الواقع، فراعتهم الحالة التي عليها بلادهم، واقبل بعضهم على القرآن الكريم وصاروا يفتشون عن آياته ذات اللفتات والاشارات العلمية في مختلف مجالات العلم وجوانبه"(٢٩).

"ودعاة الاعجاز العلمي يعتبرونه اهم من وجوه الاعجاز الاخرى، لضعف المستوى البياني والبلاغي للعرب المعاصرين، بحيث لا يقدرون على تذوق الاعجاز البياني، ولعدم

فهم الآخرين من غير العرب، اللغة العربية، ومن ثم عدم فهمهم الاعجاز البياني"[٣٠].

المبحث الثالث

موقف المتقدمين والمتأخرين من إعجاز القرآن

المطلب الأول

موقف المتقدمين من إعجاز القرآن

"يرى الخطّابي أنّ الإعجاز قائم بنظمه، ذلك المتّسق البديع ورصفه، ذلك المؤتلف العجيب، قد وُضعت كلّ كلمة في موضعها اللائق بدقّة فائقة، ممّا يستدعي إحاطة شاملة تعوزها البشرية على الإطلاق، الأمر الذي أبهر وأعجب"، اذ قال: "قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كلّ مذهب من القول وما وجدناهم بعدُ، صَدَروا عن ريٍّ ؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيّته"[٣١].

ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٢هـ): "أنّ إعجاز القرآن الذي تحدّى به العرب قائم بجانب فصاحته البالغة وبلاغته الخارقة، وبأُسلوب بيانه ذلك البديع، ممّا هو شأن نظم الكلام وتأليفه في ذلك التنافس والتلاؤم العجيب، الأمر الذي لا يمسّ شيئاً من معاني القرآن وحِكَمه وتشريعاته، وهي كانت موجودةً من ذي قبل في كتب السالفين، وقد أطلق لهم المعاني من أيّ نمط كانت" [٣٢]، اذ قال: " وإذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لخصم يقول لنا: إذا كانت هذه الأُمور الوجوه من التعلّق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحّة وكما ينبغي في منثور كلام العرب ومنظومه، ورأيناهم قد استعملوها وتصرّفوا فيها وكملوا بمعرفتها، وكانت حقائق لا تتبدّل ولا يختلف بها الحال، إذ لا يكون للاسم بكونه خبراً لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر"[٣٣].

وقال أيضاً:" كيف يجوز أن يظهر في صميم العرب وفي مثل قريش ذوي الأَنفس الأبيّة والهِمم العليّة والأَنفة والحميّة مَن يدّعي النبوّة ويقول: وحجّتي أنّ الله قد أنزل عليّ كتاباً تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه، إلاّ أنّكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله ولا بعشر سورٍ منه ولا بسورة واحدة، ولو جَهدتم جهدَكم واجتمع معكم الجنّ والإنس، ثُمّ لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه ويبيّنوا سَرَفه في دعواه، لو كان ممكناً لهم، وقد بلغ بهم الغيظ من

مقالته حداً تركوا معه أحلامهم وخرجوا عن طاعة عقولهم، حتّى واجهوه بكلّ قبيح ولَقوه بكلّ أذىً ومكروه ووقفوا له بكلّ طريق"[٣٤].

ويرى السكّاكي (ت٥٦٧هـ) ـ "أنّ الإعجاز في القرآن أمرٌ يُمكن دركه ولا يمكن وصفه، والمَدرك هو الذوق، الحاصل من ممارسة علمَي الفصاحة والبلاغة وطول خدمتهما لا غير، فقد جعل للبلاغة طرفين، أعلى وأسفل وبينهما مراتب لا تُحصى، والدرجة السُفلى هي التي إذا هبط الكلام عنها شيئاً التَحق بأصوات الحيوانات، ثُمّ تتزايد درجةً درجةً متصاعدة، حتّى تبلغ قمّتها وهو حدّ الإعجاز، وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه، فقد جعل من الدرجة القصوى وما يقرب منها كليهما من حدّ الإعجاز"[٣٥]، اذ قال بشأن الإعجاز: "واعلم أنّ شأن الإعجاز عجيب، يُدرك ولا يُمكن وصفه، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يُمكن وصفها، وكالمَلاحة، ومَدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلاّ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمَين"[٣٦].

أما الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) – "فإنّه يرى ان الإعجاز قائماً بسبكه الخاصّ الذي لم يألفه العرب لحدّ ذاك، فلا هو نثر كنثرهم المعهود ؛ لأنّ فيه الوزن والقافية وأجراس النغم، ولا هو شعر ؛ لأنّه لم يجرِ مجرى سائر أشعار العرب ولا على أوزانها المعروفة وإن كانت له خاصّية الشعر من التأثير في النفس بلحنه الشعريّ النغميّ الغريب"[٣٧].

أما فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) "فله رأي في إعجاز القرآن، وهو جَمْعه بين أُمور شتّى، كانت تستدعي هبوطاً في فصاحة الكلام، لو كان أحد من البشر حاول القيام بها أجمع، لولا أنّ القرآن كلام الله الخارق لَمألوف الناس، فقد جمع بين أفنان الكلام، ومع ذلك فقد بلغ الغاية في الفصاحة، وتسنّم الذروة من البلاغة، وهذا أمرٌ عجيب"، اذ قال: "اعلم أنّ كونه القرآن " معجزاً يُمكن بيانه من طريقين:

"الأوّل: أن يقال إنّ هذا القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة: إمّا أن يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء، أو زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدرٍ لا ينقض العادة، أو زائداً عليه بقدرٍ ينقض، والقسمان الأوّلان باطلان فتعيّن الثالث".

"وثانيها: إنّ القرآن لا يخلو إمّا أن يُقال إنّه كان بالغاً في الفصاحة إلى حدّ الإعجاز، أو لم يكن كذلك. فإن كان الأوّل ثبت أنّه معجز، وإن كان الثاني كانت المعارضة

على هذا التقدير ممكنة، فعدم إتيانهم بالمعارضة، مع كون المعارضة ممكنةً، ومع توفّر دواعيهم على الإتيان بها أمر خارق للعادة، فكان ذلك معجزاً، فثبت أنّ القرآن معجز على جميع الوجوه"(٣٨).

وللشيخ الطوسي (ت٤٦٠) - "تحقيق مستوف بشأن إعجاز القرآن، اذ قال: إنّ جهة الإعجاز في الفصاحة والبيان، فإنّ كون النبيّ i أفصح لا يمنع من أن يُقارنوه أو يُدانوه، كما هو المتعارف بينهم في المعارضة ومقارنة الشعر، على أنّ العرب لم يتفوّهوا بذلك ولمْ يقولوا له: أنت أفصحنا، فلذلك يتعذّر علينا ما يتأتّى منك، وأمّا احتمال التعمّل فباطل؛ لأنّه i عارضهم في مدّة طويلة أكثر من عشرين عاماً يتحدّاهم طول المدّة"(٣٩).

المطلب الثاني

موقف المتأخرين من إعجاز القرآن

يقول الأُستاذ مصطفى محمود: "لقد اكتشفت منذ الطفولة دون أن أدري حكاية الموسيقى الداخلية الباطنة في العبارة القرآنية، وهذا سرّ من أعمق الأسرار في التركيب القرآني، إنّه ليس بالشعر وبالنثر ولا بالكلام المسجوع، وإنّما هو معمار خاصّ من الألفاظ صُفّت بطريقة تكشف عن الموسيقى الباطنة فيها"(٤٠).

وقال الأُستاذ مصطفى صادق الرافعي: " وقد كان من عادة العرب أن يتحدّى بعضهم بعضاً في المساجلة والمقارضة بالقصيد والخطب ؛ ثقة منهم بقوّة الطبع، ولأنّ ذلك مذهب من مفاخرهم، يستعلون به ويذيع لهم حسن الذكر وعلوّ الكلمة، وهم مجبولون عليه فطرةً، ولهم فيه المواقف والمقامات في أسواقهم، ومجامعهم، فتحدّاهم القرآن في آيات كثيرة أن يأتوا بمثله أو بعضه، وسلك إلى ذلك طريقاً كأنّها قضية من قضايا المنطق التاريخي"، فإنّ حكمة "هذا التحدّي وذكره في القرآن إنّما هي أن يشهد التاريخ في كلّ عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء اللدّ والفصحاء اللُسْن، وهم كانوا في العهد الذي لم يكن للغتهم خير منه ولا خير منهم في الطبع والقوّة، فكانوا مظنّة المعارضة والقدرة عليها، حتّى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن"، مولّد أو أعجمي، "أو كاذب أو منافق أو ذو غفلة، فيزعم أنّ العرب كانوا قادرين على مثله، أمّا الطريقة التي سلكها إلى ذلك فهي أنّ التحدّي كان مقصوراً على طلب المعارضة بالمثل، ثمّ قرن التحدّي بالتأنيب والتقريع، ثمّ استفزّهم بعد ذلك جملةً

واحدة، كما يَنفج الرماد الهامد فقطع لهم أنّهم لن يفعلوا"، وهي كلمة "يستحيل أن تكون إلاّ من الله ولا يقولها عربيّ في العرب أبداً، وقد سمعوها واستقرّت فيهم ودارت على الألسنة، وعرفوا أنّها تنفي عنهم الدهر نفياً وتعجزهم آخر الأبد، فما فعلوا ولا طمعوا قطّ أن يفعلوا، وطارت الآية بعجزهم وأسجلته عليهم ووسمتهم على ألسنتهم"(٤١).

وللشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣) "كلام حول إعجاز القرآن"، اذ قال قدس سره: " قد ثبتت التواترات القطعية وقامت الضرورة البتية أنّ صاحب الشريعة الإسلامية محمّد بن عبد الله i قد ادّعى النبوّة، وتحدّى بالمعجزة وطلب المعارضة، وأتى بما هو الشائع على أهل زمانه، والمتنافس عليه عند قومه، وكانت بلدته أخصب البلاد لإيناع تلك الثمرة المنضجة، وتربية أساطين تلك الصنعة الرائجة ولّما دعاهم إلى تلك الدعوة المقدّسة، طغوا وبغوا عليه، وما تحدّاهم إلاّ بالمألوف لهم، المأخوذ عنهم والمسوق إليهم، ولم يزل يلحّ عليهم بأنحاء شتّى وعبارات متفاوتة، حتّى اعترف بالعجز عريفهم، وتلدَّد تَليدهم وطريفهم"(٤٢).

وللشيخ محمّد جواد البلاغي "اختيار مذهب السلف في وجه الإعجاز"، فقد خصّ العرب "بجانب بيانه السحري العجيب في مثل نظمه البديع وأُسلوبه الغريب وإن اشتركوا مع سائر الناس بوجوه أُخرى غيره وان سرده حوادث تاريخية ماضية كانت معروفة في كتب السالفين بوجه محرّف، فجاء بها القرآن نقيةً لامعة، ممّا لا يمكن الإتيان به من مثل النبيّ الأُمّيّ العربيّ واحتجاجاته المضيئة وبراهينه الحكيمة، التي كشفت النقاب عن حقائق ومعارف كانت خفية ومستورة لذلك العهد واستقامة بيانه وسلامته من النقض والاختلاف"(٤٣).

وهكذا ذهب السيد الطباطبائي "مذهب شيخه البلاغي في وجوه الإعجاز"،اذ قال: "وقع التحدّي الصريح بوجه عامّ، ولم يخصّ جانب بلاغته فحسب ليختصّ بالعرب العرباء أو المخضرمين قبل أن يفسد لسانهم بالاختلاط مع الأجانب، وكذا كلّ صفة خاصّة اشتمل عليها القرآن، كالمعارف الحقيقة والأخلاق الفاضلة والأحكام التشريعية، وإخباره بالمغيّبات وغيرها ممّا لم تبلغها البشرية ولم يمكنها بلوغ كنهها إطلاقاً، فالتحدّي يشمل الجميع، وفي جميع ما يمكن فيه التفاضل من الصفات"(٤٤).

وعلى "نفس المنهج ذهب السيد الخوئي" اذ قال:" وإذ قد عرفت أنّ القرآن معجزة إلهية، في بلاغته وأُسلوبه، فاعلم أنّ إعجازه لا ينحصر في ذلك، بل هو معجزة ربّانية،

وبرهان صدق على النبوّة من جهات شتّى: من جهة اشتماله على معارف حقيقية نزيهة عن شوائب الأوهام والخرافات، التي كانت رائجة ذلك العهد، ولا سيّما عند أهل الكتاب، ومن جهة استقامته في البيان وسلامته عن الاختلاف"، مع كثرة تطرّقه لمختلف الشؤون، "وتكرّر القَصص والحِكم فيه مع الاشتمال كلّ مرّة على حكمة ومزيّة فيها لذّة ومتعة، ومن جهة ما أتى به من نظام قويم وتشريع حكيم، ومن جهة إتقانه في المعاني وإحكامه في المباني"، ومن جهة "إخباره عن مغيّبات وأنباء عمّا سلف أو يأتي وظهور صدقه للملأ، وكذا من جهة اشتماله على بيان أسرار الخليقة ممّا يرتبط وسنن الكون ونواميس الطبيعة، ممّا لا سبيل إلى العلم به ولا سيّما في ذلك العهد"[٤٥].

الخاتمة:ـ

لقد وصلنا إلى نهاية هذا البحث -بتوفيق الله وعونه- ونود ان نلخص أهم ما توصلنا إليه من النتائج من خلال هذه الدراسة:

١- "لقد كان لمسالة - إعجاز القرآن - حيز كبير في دراسات السابقين وكيفية الوقوف عليها خصوصا بعد ان كثر أعداء المسلمين واقبلوا إلى الطعن في نظم القرآن وفي وأسلوبه وفي معانيه ونقله".

٢- "ان الاعجاز امراً خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة".

٣- "لابد من وجود شروط في تحقيقها وهي التحدي ووجود المقتضى الذي يدفع المتحدي إلى المنازلة وعدم وجود مانع من المباراة".

٤- "ذكر العلماء وجوها أخرى للأعجاز، لكن جلّ أهتمامهم أنصب على الجانب البلاغي"

٥- "لاعجاز القران انواع اهمها الاعجاز البياني او الاعجاز اللغوي والاعجاز العلمي والاعجاز التشريعي والاعجاز النفسي".

٦- "لقد نزل القرآن الكريم من عند علاّم الغيوب تبارك وتعالى، فلا عجب إن مزّق حواجز الغيب: حاجز المكان، وحاجز الزمان بماضيه ومستقبله؛ فأخبر الإنسانَ (على لسان نبيّه المصطفى i) عن أمور غيبيّة ساهم المكان والزمان في حجبها

وتغييبها عنه، وقصّ عليه قصص الأُمم الغابرة التي فصله عنها حاجز الزمن الماضي، وأنبأه بأمورٍ تَكشّفَ له بعضُها بعد حين، وظلّ بعضُها الآخر ينتظر دوره في التحقّق".

هوامش البحث

(١) الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، منشورات دار الهجرة إيران، ط١، ١٤٠٥هـ، ص١٤٩.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨م ج ٥ ص ٢١١

(٣) القطان، مناع، مباحث في علوم القران، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م ص٢٥٩"

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٧٩هـ ص ٣٩٦

(٥) الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح: البيان في إعجاز القرآن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٢٣-٣١.

(٦) د. صلاح الخالدي، البيان في اعجاز القران، مصدر سابق، ص ٢٣ "

(٧) السيوطي، جلال الدين بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨: ٢/ ١٠١

(٨) ينظر رشدي عليان، اصول الدين الاسلامي، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٩ / ٢٨٣ - ٢٨٤

(٩) سورة البقرة: الآية ٢٣

(١٠) ينظر: هنداوي، د. عبد الحميد أحمد يوسف، الإعجاز في القرآن الكريم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت - ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م / ٢٨٤

(١١) يرى الخطابي ان مدة التحدي كانت عشرين سنة ولعله يبدؤها بالوقت الذي نزلت فيه اول آية صريحة بالتحدي وطبيعي ان ذلك كان بعد مبعث النبي i بمدة وبعد نزول مقدار مناسب من القرآن. انظر: الخطيب، عبد الكريم، الاعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥ م: ١٨٣

(١٢) الخالدي، البيان في اعجاز القرآن: ٢٩

(١٣) المصدر نفسه: ٣٠

(١٤) ينظر: الرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، حققها وعلق عليها محمد خلف الله احمد، د. محمد زغلول سلام - ط٢ - دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م: ٢٠

(١٥) ينظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير الكتاب المنزل، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٩: ١/ ١٠٥
(١٦) فضل الله، محمد حسين، من وحي القران، دار الباقر، بيروت، ٢٠٢م: ١٥/٧
(١٧) السبزواري، السيد عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط٣، مطبعة الديواني، بغداد ـ ١٩٨٩:٣/ ٢٧٧
(١٨) ينظر: محمد محمد موسى، الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لتراث اهل العلم، مطابع المختار الاسلامي - مصر -١٤٠٥هـ -١٩٨٤ م: ٨٥
(١٩) الرازي، ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، تفسير الفخر الرازي المسمى (مفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م): ٢٣٣/٨
(٢٠) البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تحقيق عبد الرزاق مهدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، (١٤٢٠هـ): ٢٧٧
(٢١) الشحاذي، الشيخ علي، مستدرك البحار، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٩: ٢٣٤/١.
(٢٢) ينظر: الخطيب، الاعجاز في دراسات السابقين، مصدر سابق/ ١٠٨ - ١١٥
(٢٣) ينظر: الخالدي، البيان في اعجاز القرآن، مصدر سابق/ ٧٩
(٢٤) المصدر نفسه/ ٥٠
(٢٥) أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار المعارف بمصر، ٢٠٠٦: ١٣٦
(٢٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧
(٢٧) المصدر نفسه: ١٣٧
(٢٨) ينظر: بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن، ط٣، مكتبة نهضة مصر: ١٤٠
(٢٩) انظر: المصدر نفسه: ١٤
(٣٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م: ٣/ ١٨٥
(٣١)الخطابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (ت ٣٨٨ ه)، بيان اعجاز القران، تحقيق محمد خلف الله ود، دار المعارف، مصر ١٩٨٦م:ص ٢٣
(٣٢)قدوري،مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن الكريم:٢١١
(٣٣)الجرجاني،عبد القاهر (٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني: وقف على تصحيحه الشيخ محمد رشيد رضا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ: ١٧٣.
(٣٤) الجرجاني، عبد القاهر (٤٧١هـ)، الشافية (المطبوعة ضمن ثلاث رسائل)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ٢٠١٢:١٢٧
(٣٥) قدوري، مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن الكريم:٢١٨

(٣٦) السكاكي، محمد بن علي (٦٢٦ هـ)، مفتاح العلوم: ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ: ٧٠.

(٣٧) الأصفهاني، الراغب (٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن: تح: صفوان عدنان داودي، ط١، ايران ـ ١٤٢٦هـ: ١٩.

(٣٨) الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، (ت: ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): المطبعة البهية المصرية، مصر، ١٩٩٩:٢ /١١٥.

(٣٩) الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)، الاقتصاد، تح: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، قم – ايران، ط١، ١٤١٤هـ: ١٤٤

(٤٠) مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦، ص١٥.

(٤١) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن، دار العارف، بيروت، ٢٠٠٩:١٦٩

(٤٢) آل كاشف الغطاء، محمّد الحسين (ت ١٣٧٣)، الدين والإسلام، دار البصائر، بيروت، ٢٠٠٧: ٢ / ٥٣

(٤٣) البلاغي، محمّد جواد، آلاء الرحمان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١١: ١٦

(٤٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٢: ١ / ٥٧

(٤٥) الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار المؤرخ، بيروت، ٢٠١١: ٤٣

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٧٩هـ

٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ١٩٦٨م

٣. أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار المعارف بمصر، ٢٠٠٦

٤. الأصفهاني، الراغب (٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن: تح: صفوان عدنان داودي، ط١، ايران ـ ١٤٢٦ ه.

٥. البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تحقيق عبد الرزاق مهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/١، (١٤٢٠هـ

٦. البلاغي، محمّد جواد، آلاء الرحمان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١١

٧. الجرجاني، عبد القاهر (٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني: وقف على تصحيحه الشيخ محمد رشيد رضا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

٨. الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح: البيان في إعجاز القرآن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩. الخطابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (ت ٣٨٨ ه)، بيان اعجاز القران، تحقيق محمد خلف الله ود، دار المعارف، مصر ١٩٨٦م

١٠. الخطيب، عبد الكريم، الاعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥ م

١١. الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار المؤرخ، بيروت، ٢٠١١

١٢. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، (ت: ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): المطبعة البهية المصرية، مصر، ١٩٩٩.

١٣. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن، دار العارف، بيروت، ٢٠٠٩

١٤. رشدي عليان، اصول الدين الاسلامي، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٩

١٥. الرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، حققها وعلق عليها محمد خلف الله احمد، د. محمد زغلول سلام - ط٢ - دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م

١٦. السبزواري، السيد عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط٣، مطبعة الديواني، بغداد ـ ١٩٨٩

١٧. السكاكي، محمد بن علي (٦٢٦ هـ)، مفتاح العلوم: ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ

١٨. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م

١٩. السيوطي، جلال الدين بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨

٢٠. الشحاذي، الشيخ علي، مستدرك البحار، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٩

٢١. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير الكتاب المنزل، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٩

٢٢. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٢: ١ / ٥٧

٢٣. الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)، الاقتصاد، تح: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، قم - ايران، ط١، ١٤١٤هـ: ١٤٤

٢٤. فضل الله، محمد حسين، من وحي القران، دار الباقر، بيروت، ٢٠٢م: ١٥/٧

٢٥. الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، منشورات دار الهجرة إيران، ط١، ١٤٠٥هـ، ص ١٤٩.

٢٦. القطان، مناع، مباحث في علوم القران، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م ص٢٥٩"

٢٧. مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦، ص١٥.

٢٨. موسى، محمد محمد، الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لتراث اهل العلم، مطابع المختار الاسلامي - مصر -١٤٠٥هـ -١٩٨٤ م: ٨٥

٢٩. هنداوي، د. عبد الحميد أحمد يوسف، الإعجاز في القرآن الكريم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت - ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م